المحاضرة6: التعـريـف بالمعاجم القديمة

تُعدُّ المعاجم من أهم الرّوافد الأساسيّة والمصادر المهمّة في الحفاظ على اللُّغة، وتظهر في أشكال وأنواع متعدّدة، إمّا حيثُ الشّكل، أو من حيث المادّة وتنظيمها وتصنيفها أو بحسب الهدف والفئة المستهدفة، وغيرها من المعايير الّتي تؤخذ بعين الاعتبار، ونتعرف في هذه المحاضرات على ثلاثة من المعاجم العربيّة، تختلف في منهجها وطريقة عرض مادّتها.

أوّلًا: التّعريف بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

نعرض في هذه المحاضرة لتعريف الخليل وتعريف معجمه بالتّركيز على منهجه وطريقة الكشف عن الوحدات المعجميّة فيه.

1-التّعريف بالخليل بن أحمد الفراهيدي:

نسبه ومولده: هو أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، نسبة إلى الفراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث. وقيل: الفرهوديّ نسبة إلى فرهود بن شبابة بن مالك بن فهم، عربيّ من أزد عمان، ولد سنة 100هـ (السّيرافي، 1995م، ص38)، وعاش في زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وتمتدّ به الحياة فيشهد نهاية الدّولة الأموية، وكان قد جاوز الثّلاثين، ليستقبل الدّولة العباسيّة ليعيش في كنفها سنوات طويلة (رحاب خضر عكاوي، 1993م، ص119).

وفَد البصرة وهو فتى يافع، وأخذ يتودد إلى حلقات المحدثين والفقهاء وعلماء اللُّغة. وقد قضى حياته في البصرة، وكان أعلم الناس وأذكاهم، ومن أكثرهم ورعًا وزهدًا في مباهج الحياة وفي الجاه والسّلطان، انصرف إلى العلم عن كلّ ما يشغله عنه سوى العبادة والحج بين عام وآخر (خديجة الحديثي، 2001م، ص65).

شيوخه: أخذ العلم على مجموعة من العلماء نذكر منها الأسماء التّاليّة:

أيُّوب السّختياني: تلقّى عنه الحديث والفقه، فقد كان السّختياني فقيهًا من فقهاء البصرة ومحدّثًا من محدّثيها.

- عيسى بن عمر الثّقفي المقرئ النحوي: أشاد بعلمه وبكتابيه (الجامع والإكمال).
- أبو عمرو بن العلاء.
- عاصم الأحول بن النضر البصري.

- عثمان بن حاضر الأزدي.
- العوّام بن حوشب غالب بن خطاف القطّان. (مهدي المخزومي، 1960م، ص52).

تلاميذه: كانت حلقة الخليل العلميّة من أكبر حلقات العلم في مسجد البصرة الكبير، لذا فإنّ تلاميذه كانوا كثيرين، وأعظم هؤلاء وأكثرهم شهرة "سيبويه"، ومن أشهر تلاميذه غير سيبويه:

- الوليد بن محمد التّميمي المصادري (ت 263هـ): المعروف بولّاد.
- النضر بن شميل (ت 203هـ): صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيّام العرب. مؤرّج السّدوسي (ت 195هـ): من كبار أهل العربيّة.
- علي بن نصر الجهضمي (ت 187هـ): كان من أصحاب الخليل، ورفقاء سيبويه. وغيرهم. (سليمان قدارة، 1990م، ص20، 22).

مكانته العلميّة: لا يكاد يختلف اثنان في عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي وذكاؤه الوقّاد، فقد بلغ منهما حدًّا بحيثُ غدت تُضرب به الأمثال، وقد تجلى ذلك في عقليته الرّياضية الفذّة الَّتِي اتّسمت بالدّقة الشّمول، ويكفيه فخرًا أنّه جاء بالجديد الَّذِي لم يألفه العرب من قبله.

وقد فتحت بيئة البصرة آفاقًا واسعة أمام الخليل، فالتقت في ذهنه مختلف الثّقافات السّائدة هناك، واستطاع أن يُكوّن شخصيته الفذّة بعناصر قيمة من هذه البيئة الأدبيّة والثّقافيّة. وذهب إليه الدّارسون من كلّ جانب ليستفيدوا من إبداعاته المتمثلة في تنظيم العروض العربيّ، وجمع أصول اللُّغة العربيّة في كتاب العين، ومن آرائه اللُّغويّة الَّتِي شرحها في منظومته النحوية أو ما دَوَّنَهُ تلميذه الأكبر سيبويه في الكتاب.

وعن مكانته في الأدب العربي، قال ابن الأثير في حوادث سنة 160: فيها مات الإمام النحوي المشهور الخليل بن أحمد الفراهيدي .... وهو واضع أوّل ديوان جامع للغة العرب وهو كتاب العين.

وقال سيبويه: ما سمعته من لغات العرب وما سمعته من النحو فإملاء من قلبه (أي الخليل). (محمد خاقاني، 1425هـ، ص22).

مؤلفاته: للخليل بن أحمد الفراهيدي جملة من التّصانيف نذكر منها:

- كتاب الإيقاع.
- كتاب الجمل.
- كتاب الشّواهد.

- كتاب العروض.
- كتاب العين.
- كتاب فائت العين.
- كتاب النغم.
- كتاب النقط والشّكل. (ياقوت الحموي، 1993م، ص1271).

وفاته: قيل: كان سبب موت الخليل أنّه صدمته سارية وهو يعمل فكره، وكان غافلًا، فانصرع ومات، وقيل: بل صدمته السّارية وهو يُقطّع بحرًا من العروض. ومات سنة سبعين ومائة، وقيل: بضع وستين، وقيل: سنة ستين، وسنة خمس وسبعين. (عثمان الذهبي، 1990م، 147/10).

2-التّعريف بكتاب العين:

يُعدُّ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل معجم شامل ظهر في تاريخ اللُّغة العربيّة، فقد جمع فيه الكلمات العربيّة كلّها على نسق خاص، ونمط معيّن. كما يُعدُّ الأصل لكلّ الكتب المؤلّفة والمصنفة في اللُّغة، الَّتِي عرف بها ضبط الألفاظ واشتقاقها وشرح معانيها. (صلاح رواي، 1990، ص41).

هدف المعجم: لقد كان غرض الخليل الرّئيسي هو استيعاب كلام العرب، وحصر الثّروة اللّفظيّة حصرًا شاملًا؛ لأنّ الرسائل اللُّغوية السّابقة لا تسير في جمع اللُّغة على أسس علمية ثابتة، ولا يُمكن عن طريق هذه الرّسائل جمع اللُّغة وحصرها حصرًا شاملًا. (عبد الحميد أبو السكين، 1981، ص32).

منهج المعجم: أسّس الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه على مجموعة من الأسس: وهي: الأساس الصّوتي، والأساس الكمي، والأساس التّقليبي، والأساس الجذري، وفيما يلي شرح كلّ أساس على حدة.

*الأساس الصّوتي:

*الأساس الكمي: فقد أراد أن يحصر أبنية كلام العرب المستعمل منها والمهمل فكانت كالتّالي: (حلام الجيلالي، 1997م، ص44).

الأبنية	عددها
الثّنائية	756 جذرا
الثّلاثية	19656 جذرا
الرّباعية	491400 جذرًا
الخماسية	491400 جذرًا

المجموع	12.305.412 لفظًا

وعندما أحصى هذه الجذور ميّز بين المستعمل والمهمل منها.

*الأساس التّقليبي: وجد الخليل بن أحمد أنه بمقدوره أن يأخذ كلّ بناء من الأبنية الأربعة، فيقلبه على جميع أوجهه الممكنة، فيحصل على وعاء يضم جميع ألفاظ اللُّغة، فلا يفلت منها شيء منه، ولما لم تكن جميع مقلوبات هذه الأبنية مستعملة في اللُّغة، نصَّ كلّ مادة من مواد كتابه على المستعمل من مقلوباتها، وسمى النوع الثّاني مهملًا.

ورأى الخليل أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين مثل: عق/ قع.

والكلمة الثّلاثيّة تتصرّف على ستة أوجه، وتسمى مسدوسة، مثل: ر ج ع/ ر ع ج/ ع ج ر/ ع ر ج/ ج ع ر/ ج ر ع.

والكلمة الرّباعية تتصرف على أربعة وعشرين وَجهًا، وذلك أنّ حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثّلاثي الصّحيح، وهي ستة أوجه، فتصير أربعة وعشرين وجهًا يكتب مستعملها ويُلغى مهملها.

والكلمة الخماسية تتصرّف على مائة وعشرين وجهًا، وذلك أنّ حروفها وهي خمسة أحرف تُضربُ في وجوه الرّباعي وهي أربعة وعشرين وجهًا فتصير مائة وعشرين وجهًا، يُستعمل أقلّه ويُلغى أكثره. (عبد الكريم الرّديني، 2006م، ص50).

*الأساس الجذري: وهي إرجاع المادّة اللُّغويّة إلى أصلها بعدّة طرق وهي:

*تجريد اللّفظة من الزوائد.

*ردّ حروف العلّة إلى أصولها.

*ردّ المحذوف مثل عِدة أصلها وعد.

*ردّ الجمع إلى مفرده.

*ردّ المصغّر إلى مكبره.

*ردّ المؤنث إلى مذكره. (صلاح رواى، 1990م، ص80، 81).

طريقة الكشف في المعجم: بعد الوقوف على منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي بالتّفصيل، والاطّلاع على مبادئ نظريته المعجميّة الَّتِي سطّرها في مقدمته، يُمكن أن نلخص أهمّ الخطوات الَّتِي نتّبعها في عملية الكشف عن أيّة وحدة معجميّة نريدها في العناصر التّاليّة:

*إرجاع الكلمة إلى أصلها، وذلك بعدّة طرق بحسب الوحدة المعجمية إن كانت أصل للمادّة أو فيها زيادة أو كانت صيغتها جمعًا.... وهذه الطّرق هي:

-تجريد الكلمة من حروف الزيادة.

-ردّ المادّة إلى أصلها إن كان هناك قلب أو حذف.

-ردّ الجمع إلى المفرد، والمؤنث إلى مذكره.

ردّ الاسم المصغر إلى مكبره.

*التّعرف على التّرتيب الصّوتي عند الخليل؛ لأنّ هناك اختلاف في ترتيب الأصوات بين الباحثين قديمًا وحديثًا.

*التّعرف على ترتيب الأبنية وفق ما أشار إليه الخليل في مقدمته.

*مراعاة التّقليبات الصّوتية للوحدات المعجميّة في عملية التّرتيب.

3-خاتمة: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي من أهمّ المعاجم العربيّة الَّتِي أسّست للصّناعة المعجميّة العربيّة، وكذلك أسس للدّراسات الصّوتية؛ لأنّ مقدّمته تعدّ أوّل مادّة صوتية يعود إليها علماء الصّوتيات، وقد كانت نظريته لمعجميّة نظرية مبتكرة جديدة في عهده، وسار على منوالها العديد من المعاجم التّابعة له كمعجم البارع في اللُّغة وتهذيب اللُّغة وغيرهما.

ثانيًا: التّعريف بمقاييس اللُّغة لابن فارس

يُعدُّ معجم مقاييس اللُّغة من أهمّ المعاجم الَّتِي جمعت ألفاظ اللُّغة العربيّة ورتبتها وشرحتها وفق منهج معين، له ما يميزه عن بقية المعاجم، نتعرف عن خصائصه في هذه الجزئية بعد أن نعرض ترجمة موجزة لابن فارس.

1-التّعريف بابن فارس:

نسبه ومولده: هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين الرّازي، وقيل إنّ أصله من همذان، وقد ولد سنة 329هـ. (ناجي كامل حسن، 2009، ص155).

شيوخه: أخذ ابن فارس الفقه عن أبي الحسن بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سلمة بن فخر الإمام الفقيه بقزوين، وأخذ عن أبي بكر أحمد بن الحسن بن الخطيب راوية ثعلب. ومن شيوخه -أيضًا- أحمد بن طاهر بن المنجم أبو عبد الله.

تلاميذه: كان من تلاميذته بديع الزّمان الهمذاني.

رحلاته: رحل ابن فارس إلى قزوين، حيث أخذ عن فقيهها في هذا العصر أبي الحسن بن إبراهيم، وأقام بها مدة ثم رحل إلى زنجان حيث أخذ عن راوية ثعلب، ورحل إلى ميانج، وقد استوطن في أخريات حياته الري، وكان قد حمل إليها من همذان، ليقرأ عليه مجد الدّولة أبو طالب بن فخر الدّولة، وظل بها إلى أن توفاه الله.

مؤلفاته: كان ابن فارس واسع الأدب، متبحرًا في اللُّغة العربيّة، فقيهًا شافعيًا، وكان يناضر في اللُّغة، وكان ينصر مذهب مالك بن أنس، وطريقة الكوفيين، وله أشعار جيّدة، ورسائل مفيدة، ولقد أشار القفطي إلى أنّه من رؤساء أهل السنّة، المجوّدين على مذهب أهل الحديث، ومصنفاته تدلّ على ما ذكرناه، فمنها:

- كتاب فتيا فقيه العرب
- مقاييس اللُّغة والمجمل
- الصّاحبي في علم العربيّة.
- جامع التّأويل في تفسير القرآن.
- تمام الفصيح.
- ذم الخطأ في الشّعر.
- في الكلمات المكونة من ثلاثة حروف متماثلة.

وفاته: وتوفي سنة 395هـ بالري، وذلك بعد أن استوطن فيها.

2-التّعريف بمقاييس اللُّغة:

هدف المعجم: كلمة المقاييس ترادف كلمة الأصول، ومعنى ذلك أنّ ابن فارس يهدف في معجمه إلى أن يُدير المادّة كلّها على أصل واحد أو أكثر وأن يكشف عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادّة. (عبد الحميد أبو سكين، 1981، ص79).

منهج المعجم: اعتمد "**ابن فارس**" مجموعة من المعايير لترتيب مادّة معجمه "**مقاييس اللُّغة**" وتنظيمها، ويُمكن أن نُجمل هذه الأسس في النقاط التّاليّة:

*قسّم "**ابن فارس**" مواد معجمه إلى كتب تبدأ بكتاب الهمزة، وتنتهي بكتاب الياء.

*قسّم كلّ كتاب إلى ثلاثة أبواب: باب الثّنائي المضاعف والمطابق، وأبواب الثّلاثي الأصول، وباب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

*التزم في كلّ من الثّنائي والثّلاثي ترتيبًا خاصًا، بالرّغم من اتباعه ترتيب مواده وفق النظام الهجائي، ووفقًا لجذر الكلمة، إلّا أنّ له معه شأنًا تدويريًا، ذلك ألّا يبدأ بعد الحرف الأوّل إلّا بالّذي يليه.

*أدار مواد معجم مقاييس اللُّغة على وفق نظريته الاشتقاقية، فمنها ما أداره على أصل واحد أو أصلين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أصول، أمّا إذا لم يجد لبعض مدخلات معجمه أصولًا مشتركة حكم عليها بالتّباين والتباعد أو الانفراد.

*أشار إلى الاستخدام المجازي لبعض الألفاظ. (عبد الجليل، 2014م، ص218، 21).

طريقة الكشف في المعجم: بعد تتبع تفاصيل منهج مقاييس اللُّغة نعرض باختصار أهمّ الخطوات المتّبعة في عمليّة الكشف عن أيّة وحدة معجميّة فيه في النقاط التّاليّة:

*تجريد الكلمة من الزّوائد، وإرجاعها إلى أصلها.

*التّعرف على التّرتيب لألفبائي.

*مراعاة عمليّة التّدوير في التّرتيب بأن يتبع الحرف الأوّل بالّذي يليه.

*التّعرف على ترتيب الأبنية وفق ما جاءت به مقدّمة المقاييس.

3-خاتمة:

معجم مقاييس اللُّغة من أهمّ المعاجم الَّتِي أسست للمعجميّة العربيّة، وقد كانت فكرته مبتكرة خاصّة ما تعلّق بعمليّة التّدوير واتّباع الحرف الَّذِي يلي الحرف الأوّل، فهي طريقة جديدة لم تُعتمد من قبل، كذلك فكرة أنّ كلّ باب يدور حول أصل أو أصلين أو أكثر (مسألة الاشتقاقية) مسألة لم يُسبق إليها، وقد استفاد منها جمع من العلماء والدّارسين بعده.

ثالثًا: التّعريف بلسان العرب لابن منظور

يُعدُّ معجم لسان العرب من أضخم المعاجم في اللُّغة العربيّة، وأغزرها مادّة، وأوسعها شرحًا وتفسيرًا، ويتميّز عن بقية المعاجم بمجموعة من الخصائص نقف عليها فيما سيأتي مركزين اهتمامنا على منهجه في ترتيب مادّته، ولكن قبل ذلك نُمهّد بترجمة موجزة لابن منظور.

1-التّعريف بابن منظور:

نسبه ومولده: ابن منظور هو جمال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور؛ يتّصل نسبه برُوَيْفع بن ثابت الأنصاري (ابن منظور، دت، ¼).

ولادته: ولد ابن منظور في القاهرة، وقيل في طرابلس، سنة 630هـ الموافق ل1232م، وقد أجمع المترجمون على أنّه كان محدّثًا فقيهًا، عمل في ديوان الإنشاء، ثُمّ وَلِي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر. (لسان العرب، دت، ¼).

شيوخه: أخذ ابن منظور عن ابن طفيل، وعن يوسف المحيلي، وابن الصقير وغيرهم. (ناجي كامل حسن، 2009، ص361).

تلاميذه: من تلاميذ ابن منظور: السبكي وشمس الدّين الذهبي.

حياته العلميّة: كانت حياته حياة جد وعمل موصول، وما يدل على ذلك أنّه ترك كتبًا من تأليفه أو اختصاره بلغت خمسمائة مجلد، فقد كان -رحمه الله- مشاركًا في علوم كثيرة، فكان في الفقه في المكانة الَّتِي أهلته لولاية القضاء، وكان في اللُّغة وعلومها بما يشهد له به معجم "لسان العرب"، وكان في المعارف الكونيّة في أفضل ما كان عليه علماء عصره، فهو بحقّ مفخرة من المفاخر الخالدة في التّراث العربي. (ابن منظور، دت، ¼).

مؤلفاته: من أهم مؤلفاته وآثاره نذكر العناوين التّاليّة:

- مختار الأغاني: اختصر فيه كتاب الأغاني لأبي الفرج لأصفهاني.
- مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في عشرة مجلدات.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.
- مختصر مفردات بن بيطار.
- مختصر الحيوان للجاحظ. (ابن منظور، دت، ¼).

وفاته: توفي ابن منظور سنة 711هـ الموافق ل1311م بمصر.

2-التّعريف بلسان العرب:

هدف المعجم: كان يهدف ابن منظور في معجمه إلى استقصاء المادّة اللُّغوية وترتيبها، وكان الدّافع من وراء هذا الهدف ثلاثة أمور هي:

*ارتباط اللُّغة بالقرآن الكريم والحديث الشّريف.

*جهل الناس بالعربيّة.

*افتخار الناس بمعرفة اللّغات الأجنبية. (عبد الحميد أبو السّكيت، 1981، ص101).

منهج المعجم: نوضّح منهج ابن منظور في النقاط التّاليّة:

*طريقة ابن منظور لا تختلف عن فصائل مدرسة التّقفية في التّجريد من الزّوائد واعتماد الأصول. كذلك جعل الحرف الأخير للباب والأوّل للفصل، فكلمة "حمل" تكون في باب اللام فصل الحاء.

*جمع الكثير من آراء السّلف مدعمًا إياها بالشّواهد الَّتِي توزعت بين القرآن والحديث والشّعر والحكم والأمثال.

*المستخدم لموسوعة لسان العرب يقف على الكثير من لغات القبائل، والغريب، والنوادر، والأخبار، والأنساب والتّراجم.

*صدّر ابن منظور معجمه برؤية إيضاحيّة للحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم، وأردفها في ألقاب الحروف، وطبائعها، وخواصّها.

*لم يغفل ابن منظور، وهو العالم اللّغوي، والنحوي، والصّرفي، والمعجمي الإشارة إلى كثير من الظّواهر النحوية والصّرفية واللُّغوية الَّتِي أولتها اللّسانيات الحديثة أهمية، وعالجتها تحت نظريتي المجالات والعلاقات الدّلالية.

*العناية بالقراءات القرآنية الَّتِي أغفلت المعاجم الأخرى الكثير من جوانبها المفصلة، وسجلها بعناية فائقة، ممّا يُفيد في كثير من الدّراسات الصّوتية الحديثة وجوانب علم الدّلالة واللّهجات. (عبد الجليل، 2014م، ص320- 322).

طريقة الكشف في المعجم: للبحث في المعجم وجب اتّباع الخطوات التّاليّة:

*إرجاع الكلمة إلى أصلها، وتجريدها من الزّوائد.

*يجب معرفة التّرتيب الألفبائي للحروف العربيّة.

*البحث في الحرف الأخير للباب أوّلًا ثُمّ في لحرف الأوّل للفصل.

3-خاتمة:

معجم لسان العرب من أهمّ المعاجم كما أشرنا سابقًا، وما يُميّزه أنّه اهتم بالكثير من المسائل اللُّغوية كالتّرادف والمشترك اللّفظي، وهذا نتيجة توسعه في شرح وحداته المعجميّة وتفسيرها، كما اهتم أيضًا بالنوادر واعتنى أيضًا باللّهجات المختلفة والشّواهد.

نستنتج مما سبق بأنّ المعاجم العربيّة تنوعت وتعدّدت بحسب الهدف الّذي سطّره كلّ المعجميّ، وبحسب مقومات الصّناعة المعجميّة الّتِي تبناها وجعلها نظريّة سعى إلى تطبيقها، فصنفت هذه المعاجم عدّة تصنيفات بحسب النّظرية المعجميّة ومبادئها، وهو ما لاحظناه من التّعريف بثلاثة معاجم من مدارس مختلفة.